Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنه اختار طريق العلم دون سواه («ثم لوح لي، بل صرح، بأن مستقبلي إن أردته، إنما هو العلم») (ص 223)، ولم تزده الأيام سوى اقتناع بذلك.

وهكذا وجد المختار السوسي نفسه في وسط علمي «منقطعا إلى التعليم والمطالعة»، فخالط الفقهاء والعلماء، وأخذ عنهم ما اتسع له فكره («حضرت عند الأستاذ ابن عمر السرغيني قليلا في آخر الألفية، وعند سيدي بوشعيب البهلولي أوائل المختصر، وعند مولاي الحسن السرغيني أواسطه، وعند الاستاذ عمر الجراري في المختصر والتحفة، وعند الأستاذ أحمد الاخصاصي في الاستعارات، وعند مولاي أحمد العلمي في الأصول، وعند سيدي اليزيد الرداني في العروض... إلخ») (ص 224). ومن أهم المتغيرات التي طرأت علي حياته أنه ربح الأدب والمطالعات، والأهم منها أنه صار يسمع عن الحركة العلمية قليلا، كما يقول. ومع ذلك فإن تجربته الصوفية (الدرقاوية) ظلت حية، من خلال نوبات كانت تعتريه، إلا أنها، بحكم التأثيرات الجديدة، صارت عارضة، وسوف يكون لقاؤه، في هذه الفترة، بالشيخ أبي شعيب الدكالي، بعد رحلة طويلة قادته إلى الجديدة والبيضاء وفاس، بمثابة قطيعة نهائية مع الموروث الصوفي. لعل الباعث هنا كان (سلفيا) دون أن يصرح به، ولكنه يقول بدون تردد: « فكان ذلك في حياتي إجافة لباب، وفتحا لباب آخر...فانقشعت الغشاوة...».(ص 225).

لقد كان استقراره بمراكش، بعد خروجه الأكبر من (إلخ)، سببا مباشرا في التوجه الذي سارت عليه حياته، وسنكتشف، بعد حين، أن انتقاله إلى فاس للاستزادة من العلم أضحى سببا جوهريا في انصهار تلك الحياة في مناخ جديد لم يسبق له أن راده من قبل. وسيكون هذا المناخ هو العمل الوطني الناشئ في تلك المرحلة من أواخر العشرينيات. فهو يصرح، في هذا الطور، بأنه استبدل فكرا بفكر «فتكون لي مبدأ عصري على آخر طراز» (226)، يجمع بين الدين والعلم والسنة، ويذكر بالاسم أفرادا ساهموا في ذلك أمثال الحاج عبد السلام بنونة، والمكي الناصري، والحاج أحمد بلافريج... وسواهم من أعلام الأدب والفكر والسياسة في تلك الفترة «نخبة من العفة والعلم والدين». وسيعترف المختار السوسي أنه تأثر بأستاذ الجليل محمد بن العربي العلوي، الذي كان مجلسه «ندوة الفكرة الدينية الجديدة» (ص 226)، مثلما اتصل بالجرائد التي كانت تصل إلى المغرب من الشرق، وانفتح بصره على الحركات الناهضة أيامئذ في مصر وتركيا وسوريا والعراق ... وحركة العلماء في الجزائر. وربما كان العمل الجليل الذي أقدم عليه، بعد أن تشبع بالفكر العصري، أنه أسس صحبة ثلة من الوطنيين جمعية ثقافية (الحماسة) كان رئيسا لها، وأخرى سياسية سرية ترأسها علال الفاسي.